من أيام سورية التاريخية

ذكرى ٢٤ يوليو!

للأستاذين على الطنطاوى وسليم الزركلى

قال الملك فيصل رحمه الله :

« . . . وقد كان بين هؤلاء الذين سقطوا صرعى فى ميسلون بعض رفاق فى معارك فلسطين ؛ وإنى لأحنى رأسى احتراماً لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل اعتقاد لم يعرف له التاريخ مثيلاً . . . »

[جريدة الأيام الدمشقية العدد ٨٦٣ من هذا العام].

اخرجْ من دمشق ، وخلِّف وراءك الجِسْرَ وفيكتوريا ، وهذه البِسِنْيَة ذات الطبقتين ، التى كانت منذ خمسة عشر عاماً « النادى العربى » مثوى الوطنيـة ، ومثابة الاخلاص ؛ ودَعْ عن شمالك المرجة الخضراء ، التى وقفها نور الدين على سوائم المسلمين ، فرعاها نفر من الأقوياء الحاكمين ، وعاثوا فيها آمنين مطمئنين ؛ وجُزْ بالمِزَّة وقلاعها ، لا تلتفت إليها ، ولا تأبَهْ لها ، واستقبل الربوة لا تحفِل بقرارها وَمعينها ، ولا تهجبْ لأنهارها السبعة ، وقد امتدت بين عَدْوَتَى الوادى بعضها فوق بعض ، كعقود اللؤلؤ فى جيد الحسناء ، وتناسَ ما قال فيها ياقوت وقد طوَّف أنحـاء الدنيا ، وجاب أرجاء الأرض ، ثمّ رجع فلم يجد فى الدنيا أنزه منها ؛ وعدِّ عن النَّيْرَب لا تذكر عهده ، ولا تَبْكِ أيامَـه ، فقد ذهب النَّيْرَبَ ، وغبرت أيامه ، وفارقه وأنشد قول ابن حمدان :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلى بجنوب الغوطتين شجون

وماذقت طعم الماء إلا استخفنى ... إلى بَرَدى والنيربين حنين

وقد كان شكى فى الفراق يروعنى ... فكيف أكون اليوم وهو يقين

فو الله ما فارقتكم قالياً لكم ... ولكن مايقضى فسوف يكون

واسلك على وادى الشاذروان ، ولا يفتك عن غايتك أنه وادٍ من أودية الجنة ، هبط إلى الأرض ليذكر فيه النفس أيام الجنـة الأولى ، فتطير إلى سمائها بأجنحة من نشوة الذكرى ، ولا يثنك عن وجهتك هذان الجبلان المتعانقان ، كأنهما عاشقان قد لبسا من النجوم المزهرة ، والأشجار المثمرة ، حلة أبهى من السندس ، ولا « يزيد » الذى يجرى فى صلب الجبل يزخر بالمياه ، فيطفح بها ، فتهبط الصخر من علو مائة ذراع متكسرة مزبدة ، كأنما هى ذوب اللجين ، حتى تعود إلى أبيها بردى ، وهو يجرى فى بطن الوادى جياشاً ثائرا ؛ واستقبل دُمّر لا تقف بجناتها ورياضها ، ولا تفتنك قصورها ودورها ، ولا يستبك هذا القصر العجيب ، ذو المعارج الملتوية ، والألوان والنقوش ، والبرك والنوافير : قصر الأمير سعيد ، ولا قصر شمايا تجرى من تحته الأنهار !

ودع عن يمينك ممعل الأسمنت الفخم ، الذى قام دليلاً على أن الشرق يستطيع أن يعمل ، ويقدر أن يبنى . وسركباته التى أبت أن تمشى على الأرض ، فسارت متعلقة بأسلاك فى الهواء .. وائت الهامة فدعها عن يمينك لا تنزل إلى السهل ، ولا تفتنك أنهاره وبهجته ، ولا تجذبك فسحته وخضرته ، وامش واضعاً « قادسية » عن شمالك ، ثم دُرْ دورة فاخرج من الوادى ، وامش صُعُدا حتى تدع الوادى من ورائك ، وتستقبل الصحراء الخالية القاحلة ، فاذا أصحرت فدع الدعاس وحدائقه وامش قدماً حتى ترى هذه الهضاب المتسلسلة ، والآكام التتالية ، فاعلُها . . حتى إذا بلغت ذراها ، ولمحت فى عرض البادية ، فى حضن الجبل ، بناءً غريباً كأن سقفه جناحا طيارة ؛ ورأيت من أمامه سلسل ماء ، فاهبط اليه ، ثم قف خاشعاً منحنياً ، فأنت فى ميسلون ، وأنت حيال قبر يوسف العظمة . . .

على الطنطاوى

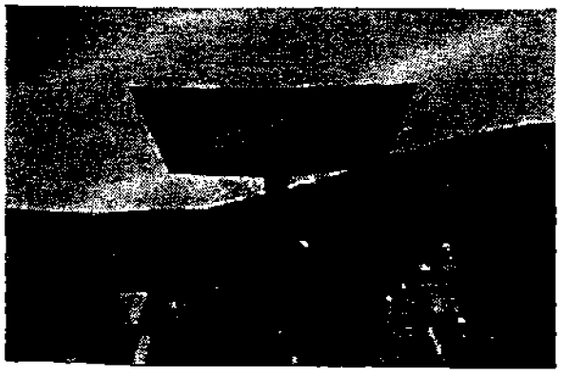

قبر شهيد ميسلون : يوسف بك العظمة
وزير الحربية فى الحكومة العربية

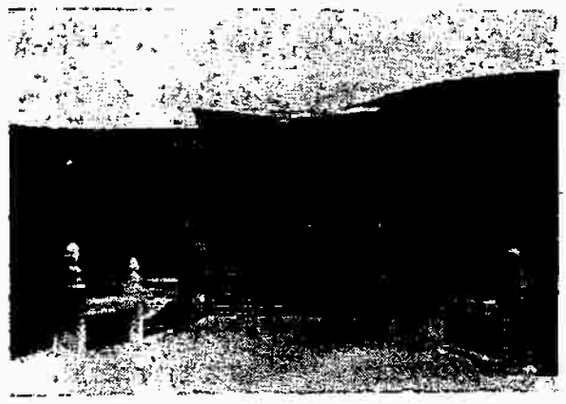

قبر شهيد ميسلون : يوسف بك العظمة

قِفْ عند هذا الضريح ... واهتف بسكانهْ
هل حلّ فيكم جريح ... من أجل أوطانه
أهوى بكم يستريحْ ... من برح أحزانه
بنى عليه الزمان ... والغاشم الغادرْ
فراح يبنى الأمان ... فى الفلك الدائرْ

أصمته هوج الخطوب ... ففجرت دمعهْ
ومرهفات الكروب ... فأوقرت سمعهْ
ولم تدعه الحروب ... فكسرت ضلعه
بكى له النيّران ... والكوكب الساهر
فأين هذا الهوان ... من مجده الغابر

الملك رهن الضياعْ ... إن غيل فى مهدهْ
والسيف ما إن يطاع ... مادام فى غمده
واحسرتا للشجاع ... يبكى على مجدهْ
الذل والخوّان ... والخاتل الماكرْ
يفوز بالجنان[1] ... ويطرد الثائر

تبكى عيونُ السماءْ ... على أمانينا
وفى مجارى الدماء ... خاضت مواضينا
ما زال رهن الفناء ... شتى مرامينا

هل يرجع الفاتحان : الأسد الزائر
للعرش والطيلسان ... والفاتح الظافر

جاست ديارى العداء ... والدهر يغتالنا
وعاث فينا الطغاء ... ذلاً وتهويلا
لم تصف بعد الحياء ... حتى تعادينا
آن أوان الطعان ... فلينهض العائرْ
لا يبلغ المجدَ وان ... عن نيله قاصر

فاستصرخى يا قبورْ ... عزائم الأبرار
ولتحطمنّ الدهورْ ... صواعق الأحرار
لا عاش من لا يثور ... ويستشيط العارْ
إنا فدى الأوطان ... من غاصب جائرْ
لا عيش للأنسان ... فى موطن صاغر

سليم الزركلى

(١) كذا فى الأصل ، والشطر مكسور (الرسالة)

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع كتاب :

المختار

للأستاذ عبد العزيز البشرى

وهذا الجزء ينتظم ثلاثة أبواب :

الباب الأول باب الأدب ، والثانى باب الوصف ، والثالث باب التراجم

وقد طبع طبعاً أنيقاً مضبوطاً كثير من لفظه بالشكل مفسراً ما يقع فيه من غريب وذلك على ورق صقيل — وحلى فوق هذا بصور فاخرة ، وغلف بغلاف بديع ثمين — وثمن هذا الجزء خمسة عشر قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكردانى نمرة ٩

ومن المكاتب الشهيرة